مقال

هيرمان بوتيمي (Herman Butime) (*)

# التحولات في العلاقات الإسرائيلية- الأفريقية

تدلل التقارير الواردة حول مهمة إنقاذ الرهائن التي نفذتها إسرائيل في مركز "ويستغيت" التجاري (Westgate) في كينيا خلال العام ٢٠١٣ على الأهمية التي تحتلها قارة أفريقيا في مشاركة إسرائيل وانخراطها في القضايا التي يشهدها العالم.[١] لقد قدمت أفريقيا للدولة اليهودية، منذ قيامها، الفرص التي تلزمها للبقاء في النظام الدولي والنجاح والازدهار فيه. وفي الوقت الذي منحت فيه نهاية الحقبة الكولونيالية إسرائيل الفرصة المواتية لإقامة علاقات مع بعض الدول في القارة السمراء، فقد تسبب النزاع القائم بينها وبين جيرانها العرب في زعزعة هذه العلاقات الوليدة.[٢] وقد بعثت المخاوف الأمنية المشتركة، التي برزت في الآونة الأخيرة، الحياة في العلاقات التي تقيمها إسرائيل مع بعض دول أفريقيا وعززتها ورسختها.[٣] تدرس هذه المقالة التطور الذي شهدته العلاقات الإسرائيلية–الأفريقية، حيث كانت الدولة اليهودية تتحرك، في سياق عملها على مد جسور العلاقات مع قارة أفريقيا، بدافع الإيثار وحب الغير، والرغبة في الالتفاف على حملة المقاطعة التي استهدفت عزلها، والمساعي التي ترمي إلى محاربة التهديدات الخارجية والداخلية التي تعتري أمنها، وبناء التحالفات التي تعزز مُثُلها وقيمها وتوطدها، إلى جانب تحسين موقفها باعتبارها طرفًا فاعلًا في النظام الدولي.

(*) نال د. هيرمان بوتيمي درجة الدكتوراه في الدراسات السياحية من جامعة وولونغوغ (University of Wollongong) في أستراليا، حيث ركز في رسالته على علاقة نظريات حرب العصابات بطريقة عمل جيش الرب للمقاومة (Lord's Resistance Army)، وهو أحد الجماعات المتمردة في أوغندا.

**ألقت حرب يوم الغفران، التي اندلعت في العام ١٩٧٣، بإسرائيل إلى معضلة في سياستها الخارجية. فقد كانت إسرائيل، بعد أن أقامت العلاقات مع بعض الدول في أفريقيا ما بعد الكولونيالية، تكيل الانتقادات لنظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا في بادئ الأمر. ومع ذلك، فبعدما مارست الدول العربية الأفريقية الأعضاء في منظمة الوحدة الأفريقية الضغط على الدول الأعضاء الأخرى في هذه المنظمة لحملها على قطع علاقاتها مع إسرائيل (تضامنًا مع الدول العربية التي تواجهها في الشرق الأوسط)، أقامت القدس علاقات مع حكومة جنوب أفريقيا (والتي كان من المفارقة أنها تحتضن التعاطف مع النازيين) لكي تتمكن من الإبقاء على موطئ قدم لها في القارة.**

## العلاقات الإسرائيلية-الأفريقية

تكفلت ثلاث مراحل عامة بتشكيل منظومة العلاقات الإسرائيلية–الأفريقية. وقد اتسمت المرحلة الأولى في هذه العلاقات بما أبدته إسرائيل من الإيثار وحبها لغيرها ورغبتها في التغلب على المقاطعة التي فرضها جيرانها العرب عليها.[٤] وقد رحبت أفريقيا بإسرائيل بالنظر إلى أن كلا الطرفين كانا يتقاسمان تاريخًا من النضال ضد القوى الكولونيالية. كما كانت إسرائيل، شأنها شأن غيرها من الدول المتقدمة، تسارع إلى تقديم المساعدات التنموية للقارة السمراء.[٥]ومع اندلاع النزاع بين إسرائيل وجيرانها العرب، شهدت المرحلة الثانية قطيعة في العلاقات بين دول أفريقيا والدولة اليهودية (ولا سيما بدافع التضامن مع الدول العربية الأفريقية).[٦]وقد عملت إسرائيل في المرحلة الثالثة على إعادة إحياء علاقاتها مع حلفائها الأفريقيين السابقين.[٧]

وفي الفترة التي أعقبت الحقبة الكولونيالية مباشرة، كانت الدوافع المتمثلة في الإيثار وحب الآخرين والرغبة في الالتفاف على حركة المقاطعة العربية للدولة اليهودية هي ما يقف وراء العلاقات التي أقامتها إسرائيل مع بلدان أفريقيا. فقد تكبدت كل من أفريقيا وإسرائيل المعاناة في ظل نير الكولونيالية. وقد أدرك الشعب اليهودي، ولا سيما في مرحلة ما بعد المحرقة (الهولوكوست)، أهمية العمل على تقوية قدرات الشعوب المحرومة في سعيها إلى مواجهة التهديدات التي يفيض بها هذا العالم المتقلب. وفي سبيل هذه الغاية، عملت إسرائيل على إرسال خبراء التنمية إلى أفريقيا خلال هذه المرحلة.[٨] وقد أرست هذه المعونات الإنسانية دعائم التعاون بين الطرفين في مجالات المساعدات الفنية، والمشاريع المشتركة، والتبادلات وبرامج التدريب.[٩] كما برز تقاطع في المصالح الأمنية التي عززت هذه العلاقات بين إسرائيل والدول الأفريقية وجمعتهما معًا. ومع انتشار الأنظمة العسكرية على امتداد القارة، كانت إسرائيل تُعَد بمثابة شريك جذاب في عيون بعض القادة الأفريقيين، بالنظر إلى أنها تملك الخبرات الفنية التي تكفل تزويدهم بأدوات القمع التي تلزمهم للبقاء في سدة الحكم. وفي ذروة التعاون الذي شهده قطاع الدفاع إبان هذه المرحلة، أثبتت إسرائيل فائدتها في تدريب أفراد القوات المسلحة، وإنشاء الجماعات شبه العسكرية وإمداد حلفائها في أفريقيا بالأسلحة.[١٠]وقد روجت إسرائيل لنفسها، من خلال هذه العلاقات، قدرًا من الشهرة على المستوى الدولي، مما مكّنها من مجابهة المقاطعة العربية التي فُرضت عليها.

ألقت حرب يوم الغفران، التي اندلعت في العام ١٩٧٣، بإسرائيل إلى معضلة في سياستها الخارجية. فقد كانت إسرائيل، بعد أن أقامت العلاقات مع بعض الدول في أفريقيا ما بعد الكولونيالية، تكيل الانتقادات لنظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا في بادئ الأمر. ومع ذلك، فبعدما مارست الدول العربية الأفريقية الأعضاء في منظمة الوحدة الأفريقية الضغط على الدول الأعضاء الأخرى في هذه المنظمة لحملها على قطع علاقاتها مع إسرائيل (تضامنًا مع الدول العربية التي تواجهها في الشرق الأوسط)، أقامت القدس علاقات مع حكومة جنوب أفريقيا (والتي كان من المفارقة أنها تحتضن التعاطف مع النازيين) لكي تتمكن من الإبقاء على موطئ قدم لها في القارة.[١١]ولم يتسبب هذا التحول في تقويض عنصر الإيثار وحب الغير في السياسة الخارجية التي انتهجتها إسرائيل فحسب، بل عمل على إظهار الدولة اليهودية في صورة دولة عنصرية من وجهة

**وتقع دول إثيوبيا وأريتريا وكينيا في صميم اهتمام إسرائيل في منطقة القرن الأفريقي. وقد سعت إسرائيل إلى وضع هذه الدول، بالنظر إلى قربها من الصومال، وجمعها في منطقة عازلة في وجه الجماعات الإسلامية في الصومال (بالتوازي مع الجماعات الراديكالية الأخرى)، التي يُحتمل قيام رابط بينها وبين حركة حماس المسلحة الفلسطينية. وفضلًا عن ذلك، استعانت إسرائيل، في سياق المحاولة التي بذلتها لقطع الروابط القائمة بين التهديدات الأمنية الخارجية والداخلية، بعلاقاتها مع حلفائها في منطقة القرن الأفريقي من أجل تقليص نفوذ إيران، حيث يُشتبه بأن طهران تعمل على زعزعة استقرار إسرائيل من خلال إمداد حركة حماس بالسلاح والعتاد.**

نظر معظم الدول الأفريقية. وعلى الرغم من التعثر الذي اعترى هذه العلاقات، فلم يتوقف ارتباط إسرائيل بأفريقيا بصورة كلية. فقد شكلت المخاوف الأمنية والمُثل والقيم المشتركة قاعدة لاستمرار العلاقات بينها وبين بعض الدول الأفريقية.

## العلاقات بين إسرائيل ودول القرن الأفريقي

من بين جميع المناطق في أفريقيا على امتدادها، يحتل القرن الأفريقي أهمية لا يستهان بها بالنسبة إلى إسرائيل. فحسبما جاء على لسان إيلي كارمون، "يكتسب القرن الأفريقي أهميته في العلاقات الاقتصادية الإسرائيلية، بما تشمله من التبادلات التجارية مع قارة آسيا عبر البحر الأحمر."[١٢] كما تشكل هذه المنطقة، بالنظر إلى موقعها الجغرافي القريب، مصدرًا يفرض مخاوف أمنية جسيمة أمام إسرائيل. وفي هذا السياق، عملت إسرائيل على إقامة العلاقات مع بعض دول القرن الأفريقي بغية محاربة التهديدات الداخلية والخارجية التي تواجه أمنها، وتعزيز نفوذها الإقليمي وترسيخ مُثلها وقيمها الأساسية.

وتقع دول إثيوبيا وأريتريا وكينيا في صميم اهتمام إسرائيل في منطقة القرن الأفريقي. وقد سعت إسرائيل إلى وضع هذه الدول، بالنظر إلى قربها من الصومال، وجمعها في منطقة عازلة في وجه الجماعات الإسلامية في الصومال (بالتوازي مع الجماعات الراديكالية الأخرى)، التي يُحتمل قيام رابط بينها وبين حركة حماس المسلحة الفلسطينية. وفضلًا عن ذلك، استعانت إسرائيل، في سياق المحاولة التي بذلتها لقطع الروابط القائمة بين التهديدات الأمنية الخارجية والداخلية، بعلاقاتها مع حلفائها في منطقة القرن الأفريقي من أجل تقليص نفوذ إيران، حيث يُشتبه بأن طهران تعمل على زعزعة استقرار إسرائيل من خلال إمداد حركة حماس بالسلاح والعتاد. ووفقًا للتصريحات الصادرة عن قوات الدفاع الإسرائيلية، فقد سعت إيران إلى إقامة خط لإمداد هذه الجماعة المسلحة الفلسطينية بالأسلحة، حيث يمر هذا المسار من أراضي السودان عبر البحر الأحمر وشبه جزيرة سيناء إلى قطاع غزة.[١٣]

ولا تقتصر العلاقات المجمدة بين إسرائيل وإيران على الصراع الدائر مع الفلسطينيين فحسب. فالدولتان تشتركان في حرب تجسس مريرة في منطقة القرن الأفريقي. وفي هذا الخصوص، يشير معهد ستراتفور للاستخبارات العالمية (Stratfor Global Intelligence)، وهو مركز أبحاث يتخصص في متابعة النشاطات الإيرانية في المنطقة، بأن إسرائيل أقامت قواعد للتجسس في أريتريا من أجل مواجهة مواقع المراقبة التي أقامتها إيران فيها.[١٤]

وعلى الرغم من هذه المصالح، لا يشير الاستعراض الذي قدمناه أعلاه إلى الرابطة التي تجمع إثيوبيا وأريتريا وكينيا وإسرائيل معًا. فبالنظر إلى أن التركيبة السكانية اليهودية–المسيحية التي تغلب على هذه الدول وعلى جمهورية جنوب السودان التي أُقيمت مؤخرًا، وعلى خلاف السودان والصومال وإيران التي يحتل المسلمون موقع الصدارة في تعداد سكانها، تظهر تشكيلة هذه المنطقة كما لو كانت مسرحًا للصدام بين الحضارات، بحيث تشمل كتلتين دينيتين يسود التنافس بينهما. ومما يؤكد على هذه الفكرة أن حركة الشباب المجاهدين، وهي حركة إسلامية صومالية، هددت بالانتقام من إسرائيل التي تحتل القدس الشرقية، مهد المسجد الأقصى وأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين عند المسلمين.[١٥] وبوسع المرء أن

**وكانت الولايات المتحدة تنظر إلى أوغندا، بالنظر إلى أنها كانت تشترك في حدودها مع السودان فيما مضى، باعتبارها حاجزًا يحول دون تصدير الأصولية الإسلامية التي كانت تنبع من الخرطوم في الجنوب.[٢١] ولم تكن أوغندا، التي باتت تلعب هذا الدور، تخدم مصالح الولايات المتحدة فحسب، بل تتعامل مع المخاوف الأمنية التي تواجهها كذلك. ففي وقت من الأوقات، كانت الحكومة في الخرطوم ترعى الجماعات المتمردة الأوغندية - جيش الرب للمقاومة والجبهة الديمقراطية المتحدة - فيما بدا أنه انتقام من أوغندا التي كانت تقدم الدعم لجيش التحرير الشعبي، وهو حركة متمردة كانت تتخذ من جنوب السودان مقرًا لها.**

يفترض بأن العلاقات التي تقيمها إسرائيل مع دول منطقة القرن الأفريقي تُعنى في جانب منها بتعزيز المظاهر الدينية التي تستند إليها في مُثلها وقيمها.

## العلاقات بين إسرائيل وإثيوبيا

يستعرض التحليل الذي نسوقه أعلاه تقييمًا عامًا للقوى الدينامية التي تُسيِّر العلاقات التي تقيمها إسرائيل مع دول منطقة القرن الأفريقي وارتباطها بها. ومن أجل الوصول إلى فهم أصيل لهذه الظاهرة، يقتضي الأمر أن نقيِّم الطابع الفعلي الذي يسم العلاقات التي تربط القدس ببعض حلفائها الرئيسيين في هذه المنطقة.

تُعتبر إثيوبيا بمثابة الحليف الآخر الذي يحتل أهمية قصوى لإسرائيل في منطقة القرن الأفريقي بعد كينيا. وتقوم العلاقات بين هاتين الدولتين في أساسها على الدوافع التي ترمي إلى تعزيز الروابط الثقافية المتبادلة بينهما والتعامل مع المخاوف الأمنية التي تتقاسمانها. وتعود العلاقات القائمة بين إسرائيل وإثيوبيا في تاريخها إلى العهود التوراتية الغابرة. فإبان حكم الملك سليمان، زارت ملكة سبأ إسرائيل.[١٦] وكان إمبراطور إثيوبيا الأخير، هيلا سيلاسي، يرى أنه ينحدر من أصول يهودية. وبعد محاولة الانقلاب التي وقعت في العام ١٩٦٠، قدمت إسرائيل طائرة لنقل سيلاسي إلى الموقع الذي تمكّن فيه من القضاء على هذا الانقلاب ووأده في مهده. ومع ذلك، فقد اعترت التحديات العلاقات بين البلدين خلال حرب يوم الغفران. ولم يكن في وسع إثيوبيا، التي كانت تستضيف مقر مؤتمر الوحدة الأفريقية، أن تشق عصا الطاعة عن بقية دول القارة بعدما مارست الدول العربية الأفريقية الضغط عليها لحملها على مقاطعة إسرائيل تضامنًا مع الدول العربية التي كانت تخوض النزاع معها في الشرق الأوسط.[١٧]

ولكن هذه المستجدات لم تضع حدًا للعلاقات الإثيوبية–الإسرائيلية لأن الجانبين – وعدا عن الروابط الثقافية القائمة بينهما – استمرا في علاقاتهما التي كانت تعود بالنفع المتبادل عليهما، والتي كانت تغذيها المخاوف الأمنية التي يشتركان فيها. فعلى سبيل المثال، ما تزال إسرائيل واحدة من أهم الدول التي تمدّ إثيوبيا بالعتاد العسكري. وإبان حرب الاستقلال التي خاضتها أرتيريا، قدمت إسرائيل الدعم والإسناد لأديس أبابا لأنها، وحسبما كان ظاهرًا في حينه، كانت تسعى إلى الحيلولة دون "تحول البحر الأحمر إلى بحرب العرب"[١٨] في ظل العلاقات الصعبة التي كانت قائمة بينها وبين جيرانها العرب. وكان هذا الدافع، الذي ينطوي على تحجيم نفوذ العرب في المنطقة والتهديدات الأمنية الخارجية، هو ما حدا بإسرائيل إلى قصف قافلة من المركبات على أراضي السودان في العام ٢٠٠٩، والتي كانت تنقل حمولة من الصواريخ الإيرانية إلى قطاع غزة.[١٩] ومن الصعوبة أن نتخيل إمكانية نجاح إسرائيل في تنفيذ هذه العملية دون التعاون القائم بينها وبين إثيوبيا، التي تتمتع بموقع جغرافي قريب من البحر الأحمر.

## العلاقات بين إسرائيل وأوغندا

على الرغم من أن أوغندا لا تقع في منطقة القرن الأفريقي، فقد رأت إسرائيل أن الأهمية تستدعي إقامة العلاقات والمحافظة عليها معها. وفي الواقع، كانت العلاقات الأمنية تجمع إسرائيل بهذه الدولة التي تقع في شرق أفريقيا في الماضي. ففي العام

١٩٧٦، اختطفت عناصر فلسطينية وألمانية طائرة تابعة للخطوط الجوية الفرنسية (Air France)، والتي كان معظم ركابها من الإسرائيليين. وتم تحويل مسار الطائرة إلى مطار عنتيبي الدولي في أوغندا بالتعاون مع الرئيس الأوغندي عيدي أمين. وقد تمكنت القوات الأمنية الإسرائيلية من إنقاذ الرهائن بالقوة في عملية جرى التخطيط لها بعناية.[٢٠]

كان من الممكن، في الظروف الطبيعية، أن يتسبب الدور الذي اضطلعت به أوغندا في هذه الحادثة بإبعادها عن شبكة التحالفات التي تقيمها إسرائيل في قارة أفريقيا. ولكن لم يكن هذا هو الحال في حقبة ما بعد الحرب الباردة، بعدما صارت كامبالا حليفًا إستراتيجيًا للولايات المتحدة. وكانت الولايات المتحدة تنظر إلى أوغندا، بالنظر إلى أنها كانت تشترك في حدودها مع السودان فيما مضى، باعتبارها حاجزًا يحول دون تصدير الأصولية الإسلامية التي كانت تنبع من الخرطوم في الجنوب.[٢١] ولم تكن أوغندا، التي باتت تلعب هذا الدور، تخدم مصالح الولايات المتحدة فحسب، بل تتعامل مع المخاوف الأمنية التي تواجهها كذلك. ففي وقت من الأوقات، كانت الحكومة في الخرطوم ترعى الجماعات المتمردة الأوغندية – جيش الرب للمقاومة والجبهة الديمقراطية المتحدة – فيما بدا أنه انتقام من أوغندا التي كانت تقدم الدعم لجيش التحرير الشعبي، وهو حركة متمردة كانت تتخذ من جنوب السودان مقرًا لها.[٢٢] ومع ظهور السودان كمصدر تهديد مشترك لأوغندا والولايات المتحدة وإسرائيل، كان هناك ما يكفي من الأسباب التي تسوغ قيام التعاون بين تل أبيب وكامبالا.

كما ارتكزت العلاقات بين البلدين، في الآونة الأخيرة، على الاعتبارات الأمنية. ففي العام ٢٠١٣، أبعدت إسرائيل المهاجرين غير الشرعيين الذين قَدِموا إليها من السودان وأريتريا إلى أوغندا بناءً على مخطط كان يرمي إلى إعادتهم كل إلى بلده في نهاية المطاف. وفي المقابل، نشرت جريدة "هآرتس" تقريرًا أفادت فيه بأن إسرائيل وافقت على إمداد أوغندا بقذائف مدفعية وقذائف هاون وتحديث مقاتلاتها العسكرية النفاثة.[٢٣] وقدمت أوغندا، التي قبلت استضافة هؤلاء المبعدين بصورة مؤقتة، المساعدة في تخليص إسرائيل من أناس كان يمكن أن يشكلوا ضغطًا على اقتصادها ومصدرًا يهدد أمنها المحلي في بعض الحالات، ناهيك عن التهديد الديمغرافي الذي يمثلونه بالنسبة إليها. وكان من شأن تعزيز القوة العسكرية لأوغندا أن يعود بالفائدة على الدولتين. فقد لا توظف كامبالا ترسانتها المحدثة في المحافظة على توازن القدرات العسكرية في علاقتها مع السودان فحسب، بل في إسناد تدخلها في الصومال، حيث تخوض معركة مع حركة الشباب المجاهدين. وتتبوأ هذه الاعتبارات موقعًا محوريًا في المواجهة التي تخوضها إسرائيل ضد التهديدات الخارجية والداخلية التي تواجه أمنها.

## العلاقات بين إسرائيل وكينيا

تقول غاليا صابار: "إن كينيا هي أهم دولة في أفريقيا بالنسبة إلى إسرائيل. فمنذ العام ١٩٦٣، ما تزال الدولتان تقيمان علاقة وثيقة وأصيلة تقوم على أساس المنافع المتبادلة في جانب كبير منها."[٢٤] وتستند العلاقات الإسرائيلية–الكينية في أساسها إلى افتراضين أساسيين، أولهما أن كينيا، وبعيدًا عن إسرائيل اليوم، كانت الوطن المحتمل الآخر لليهود الذين كانوا يتوقون إلى إقامة دولة تحضنهم –أرض صهيون. أمام الافتراض الثاني فكان يرى في كينيا مسرحًا لحركة النضال التي خاضها الشعب اليهودي ضد القوى الكولونيالية قبل إقامة دولة إسرائيل.

وقد استُهلت العلاقات بين الدولتين في مطلع القرن العشرين. ففي المؤتمر الصهيوني السادس الذي انعقد في العام ١٩٠٣، عرض وزير المستعمرات البريطاني جوزيف تشامبرلين (Joseph Chamberlain) جزءًا من إقليم كينيا لإقامة دولة يهودية مستقلة عليه ضمن ما كان يُعرف بمخطط أوغندا حينئذ. وعلى الرغم من رفض هذا المقترح في المؤتمر الصهيوني السابع الذي عُقد في العام ١٩٠٥، كانت بعض العائلات اليهودية قد سافرت إلى كينيا. وفي العام ١٩١٣، شُيِّد كنيس يهودي في نيروبي، عاصمة كينيا. ومنذ توافد هؤلاء المهاجرين الأوائل، بات مئات اليهود ينظرون إلى هذه الدولة التي تقع في شرق أفريقيا باعتبارها وطنهم الموعود.[٢٥] وبهذا المعنى، يمكن عزو جانب من العلاقات الودية التي تجمع البلدين إلى كينيا التي قُدِّمت فيما مضى على أنها أرض صهيون للشعب اليهودي. وقد ترك المهاجرون اليهود الذين تدفقوا على هذه الدولة رابطًا تاريخيًا دائمًا بينها وبين إسرائيل، على الرغم من أنها لم تفِ بتطلعاتهم في إقامة وطن لهم فيها.

وفضلًا عن ذلك، أفرز الصراع ضد القوى الكولونيالية تاريخًا مشتركًا بين الدولتين. ففي العام ١٩٤٧، أنشأت السلطات البريطانية معتقلًا في منطقة غلغيل في وادي كينيا. وكان أعضاء من منظمتيّ "إرغون" و"ليحي" السريتين محتجزين في هذا المعتقل، من جملة معتقلين آخرين، حيث تعهد أبناء الطائفة اليهودية التي استقرت في

**تسببت "حرب يوم الغفران" التي اندلعت في العام ١٩٧٣ في خراب العلاقات التي كانت إسرائيل تقيمها مع حلفائها في أفريقيا. وفيما يتصل بكينيا، استمرت العلاقات بين الشعبين الإسرائيلي والكيني وواصل البلدان التعاون في الشؤون الأمنية، وإن كان ذلك بشكل سري. ومما تجدر ملاحظته في هذه الفترة أن كينيا اشترت زوارق لإطلاق القذائف وصواريخ "غابرييل" من إسرائيل، كما قدمت المساعدة لها في العام ١٩٧٦ في العملية التي نفذتها لإنقاذ الرهائن الإسرائيليين في أوغندا.[٢٨] وقد جرى تطبيع العلاقات بين الدولتين في العام ١٩٨٨.**

كينيا هؤلاء المتمردين بالرعاية. وقد تُوفي بعض أعضاء المنظمتين المذكورتين فيما بعد ودُفنوا في هذه الدولة في شرق أفريقيا.[٢٦] وبات الأساس الذي يكفي لإقامة العلاقات الإسرائيلية–الكينية عليه قائمًا بعد أن أُذيعت المساهمة غير المباشرة التي قدمتها كينيا في تاريخ الدولة اليهودية في نهاية الحقبة الكولونيالية. ويعزز هذه الفكرة الافتراض الذي يقول بأن الكينيين أنفسهم قد يبدون تعاطفًا إيجابيًا مع التجربة التي خاضها اليهود في مناهضة القوى الكولونيالية في سياق تطور العلاقات الثنائية بينهم وبين إسرائيل. ففي سياق النضال الذي خاضوه لإنهاء الحكم البريطاني، أشعل الكينيون الثورة المعروفة باسم ثورة "ماو ماو"، والتي شهدت ولادة قادة الحركة المناهضة للقوى الكولونيالية، وذلك مثلما شهدته حركة المقاومة التي خاضها اليهود.[٢٧] وبهذا المعنى، التقى الشعبان الإسرائيلي والكيني على صراع تاريخي مشترك ضد القمع الكولونيالي.

ومن جانب آخر، تسببت "حرب يوم الغفران" التي اندلعت في العام ١٩٧٣ في خراب العلاقات التي كانت إسرائيل تقيمها مع حلفائها في أفريقيا. وفيما يتصل بكينيا، استمرت العلاقات بين الشعبين الإسرائيلي والكيني وواصل البلدان التعاون في الشؤون الأمنية، وإن كان ذلك بشكل سري. ومما تجدر ملاحظته في هذه الفترة أن كينيا اشترت زوارق لإطلاق القذائف وصواريخ "غابرييل" من إسرائيل، كما قدمت المساعدة لها في العام ١٩٧٦ في العملية التي نفذتها لإنقاذ الرهائن الإسرائيليين في أوغندا.[٢٨] وقد جرى تطبيع العلاقات بين الدولتين في العام ١٩٨٨. وبعد ست سنوات، عينت كينيا أول سفرائها لدى إسرائيل بعدما زارها الرئيس دانيال أرب موي.[٢٩] وفي الوقت الذي لا تُعتبر فيه العوامل المحددة التي أفضت إلى تطبيع العلاقات بين البلدين واضحة، يسود الافتراض بأن التاريخ الطويل والمُثل والقيم والمخاوف المشتركة كان لها أثرها في إعادة المياه إلى مجاريها.

وتشمل العلاقات الإسرائيلية–الكينية في نطاقها جميع مجالات التعاون الإنساني، كما باتت تشمل مع مرور السنوات العلاقات بين الشعبين والمجالات السياسية والتجارية والاقتصادية والتكنولوجية والأمنية والثقافية والأكاديمية.

## التعاون في ميدان التنمية الاجتماعية والاقتصادية

يرتكز التعاون الذي تقيمه إسرائيل مع كينيا في ميادين التنمية الاجتماعية والاقتصادية، كما هو حالها في علاقاتها مع بقية الدول في قارة أفريقيا، على دوافع تقوم على الإيثار وحب الغير والحاجة إلى المحافظة على قدرة الاقتصاد الإسرائيلي على المنافسة في السياق العالمي. وحسبما جاء على لسان أليزا بيلمان عينبال، "بنفس الطريقة التي نشكل فيها قوة تكنولوجية متقدمة، نستطيع أن نتحول إلى قوة تكنولوجية للتنمية لأن المشاكل التي يواجهونها هي مشاكلنا وخبراتنا تناسب احتياجاتهم."[٣٠] وتؤكد عينبال في هذا المقام على خاصية الإيثار التي تيسرها التكنولوجيا: فلا ينبغي أن يقتصر استخدام التكنولوجيا على الارتقاء بمستوى حياة من يملكونها دون غيرهم، بل يجب تبادلها مع أولئك الذين لا يملكونها أيضًا. وهذا الأمر يعزز النظرية التي تقول بأن إسرائيل، التي كانت تتقاسم تاريخًا مشتركًا مع حركات النضال المناهضة للقوى الكولونيالية، وصلت إلى أفريقيا بحكم الالتزام التعاطفي الذي أملى عليها ذلك.

وفي ضوء المعطيات أعلاه، أبرمت إسرائيل وكينيا العديد من الاتفاقيات الثنائية ومذكرات التفاهم، التي شملت في جملتها

**اجتذبت إسرائيل وكينيا أعـداء مشتركين بسبب القيم المشتركة التي تجمعهما في عالم يزخر بالحضارات المتنافسة. وجاء التعاون الأمني الثنائي، الذي يرمي إلى التعامل مع هذه المشكلة، في صورة القدرات العسكرية التي تقدمها إسرائيل، وفي صورة الوجهة والسوق الجذاب الذي تمثله كينيا في هذا المضمار.**

**وخـلال المرحلة التي تَشكَّل فيها هذا التعاون، أثبتت كينيا فائدتها في توفير قاعدة تنطلق منها إسرائيل في تنفيذ عمليات التجسس ومحاربة الإرهاب في أفريقيا. وقد سبق لجهاز الموساد أن أدار محطة له في كينيا، كما اعتمدت إسرائيل على هذه الدولة في الوقت الذي كانت تُعِدّ فيه خطتها لتنفيذ مهمة إنقاذ الرهائن في مطار عنتيبي الدولي في أوغندا.**

الاتفاقية بشأن التعاون الفني والعلمي (١٩٨٩)، والاتفاقية بشأن إدارة مصادر المياه والوسائل التكنولوجية والري وبناء القدرات (٢٠٠٩)، ومذكرة التفاهم بشأن التعاون في مصائد الأسماك (٢٠١١).[٣١] وقد مهدت هذه البروتوكولات الطريق أمام تعزيز التبادل التجاري بين الدولتين. وحسب معهد الصادرات الإسرائيلي، بلغت التبادلات التجارية الثنائية بين البلدين ١٣٩ مليون دولار في العام ٢٠١٢، مسجلة ما نسبته ٨٪ من تجارة إسرائيل مع أفريقيا.[٣٢] ومع ذلك، فقد تفرز الروابط الإسرائيلية–الكينية انعدامًا في توازن العلاقات التجارية بين البلدين، كما هو حال التعاون القائم بين أفريقيا والعالم المتقدم. فبينما تصدّر إسرائيل سلعًا صناعية ذات قيمة عالية، كالمعدات المستخدمة في قطاع النقل والمواصلات والتجهيزات الأمنية والطبية والكهربائية، تبيع كينيا منتجات المواد الخام بصورة رئيسية، بما فيها المنتجات الحيوانية والنباتية والأخشاب.[٣٣]

وبينما فاقت العلاقات التي أقامتها إسرائيل مؤخرًا مع الهند والصين ودول شرق أوروبا العلاقات التي تجمعها مع أفريقيا إلى حدّ بعيد، فإن العلاقات التي تجمعها بالدول الأفريقية تسهم في المحافظة على تنافسية الاقتصاد الإسرائيلي.[٣٤] فوفق الشركة "ماكينزي" (McKinsey) الاستشارية الدولية، يكمن المفتاح الذي يكفل للشركات العالمية البقاء والاستمرار في "الابتكار والفوز بالدول ذات التكلفة المنخفضة والتي تشهد مستويات نمو مرتفعة".[٣٥] وعلى الرغم من الركود المالي العالمي، فقد سجل ما يقرب من ربع بلدان القارة الأفريقية نموًا اقتصاديًا ملفتًا للنظر، بلغت نسبته ٧٪ أو أكثر في العام ٢٠١٢,٣٦ ومع أن التبادلات التجارية بين إسرائيل وأفريقيا لا ترقى إلى مستوى تبادلاتها مع آسيا والولايات المتحدة، باستثناء تجارة الألماس، فما تزال إسرائيل تحافظ على صادرات معتبرة إلى أفريقيا، بحيث تصل قيمتها إلى ١,٣ مليار دولار.[٣٧]

## التعاون الأمني

لقد اجتذبت إسرائيل وكينيا أعداء مشتركين بسبب القيم المشتركة التي تجمعهما في عالم يزخر بالحضارات المتنافسة. وجاء التعاون الأمني الثنائي، الذي يرمي إلى التعامل مع هذه المشكلة، في صورة القدرات العسكرية التي تقدمها إسرائيل، وفي صورة الوجهة والسوق الجذاب الذي تمثله كينيا في هذا المضمار.

وخلال المرحلة التي تَشكَّل فيها هذا التعاون، أثبتت كينيا فائدتها في توفير قاعدة تنطلق منها إسرائيل في تنفيذ عمليات التجسس ومحاربة الإرهاب في أفريقيا. وقد سبق لجهاز الموساد أن أدار محطة له في كينيا، كما اعتمدت إسرائيل على هذه الدولة في الوقت الذي كانت تُعِدّ فيه خطتها لتنفيذ مهمة إنقاذ الرهائن في مطار عنتيبي الدولي في أوغندا. وفي هذا السياق، أقنع بروس ماكينزي (Bruce McKenzie)، الأسكتلندي المولد والذي كان مرتبطًا بجهاز الموساد، جوموكينياتا، رئيس كينيا حينذاك، بالسماح لإسرائيل بجمع المعلومات الاستخباراتية وتزويد طائراتها الحربية بالوقود في كينيا في الوقت الذي تنفذ فيه العملية المذكورة. وقد اغتيل ماكينزي على يد عملاء الرئيس الأوغندي عيدي أمين فيما بعد بسبب الدور الذي اضطلع به في عملية الإنقاذ، حيث فجروا طائرة كان يسافر على متنها. وفي سياق الاعتراف بالدور الذي لعبه ماكينزي في مهمة الإنقاذ، اتخذ رئيس جهاز الموساد مئير أميت الترتيبات اللازمة لزراعة غابة تخلّد ذكراه في إسرائيل.[٣٨]

وقد باتت كينيا تمثل هدفًا "مشروعًا" للجماعات المؤيدة للفلسطينيين بسبب ارتباطها بإسرائيل، ولا سيما الدور الذي لعبته في مساندتها في أزمة الرهائن. ففي العام ١٩٨٠، ادعت جماعة عربية تحمّل المسؤولية عن تفجير فندق "نورفولك" (Norfolk Hotel)، وتذرعت بالدور الذي اضطلعت به كينيا في مهمة الإنقاذ في مطار عنتيبي باعتباره العامل الذي دفعها إلى الإقدام على تفجير الفندق.[٣٩] وعلى الرغم من أن الهجوم على الفندق المذكور يدلل على امتداد النزاع اليهودي–العربي ليشمل كينيا في نطاقه، فلم تقع المصالح الإسرائيلية في دائرة الاستهداف المباشر لدى الجماعات المؤيدة للفلسطينيين إلا بعد مرور عقدين من الزمان بعد هذه الحادثة. ففي العام ٢٠٠١، شن مسلحون تابعون لتنظيم القاعدة هجومًا انتحاريًا على فندق "برادايس" (Paradise Hotel) الذي يملكه إسرائيليون في مدينة مومباسا الساحلية في كينيا، كما حاول هؤلاء المسلحون إسقاط طائرة تابعة لخطوط "آركيا ع" الجوية (Arkia Airlines)، والتي كانت تقل مواطنين إسرائيليين على متنها.[٤٠] وقد دفعت هذه التطورات، وما اقترن بها من تحول وضع كينيا إلى ساحة للحرب على الإرهاب في شرق أفريقيا، الدولتين إلى تعزيز التعاون الأمني بينهما. وفي هذا الإطار، أبرمت إسرائيل وكينيا اتفاقية بشأن التعاون في قضايا الأمن العام في سنة ٢٠١١.[٤١]

ومن جانب آخر، فرض التاريخ الطويل من التعاون القائم بين إسرائيل وكينيا القيود على قدرة الدولتين على المشاركة البناءة مع أطراف أخرى في المنظومة الدولية، وذلك في نفس الوقت الذي تعززت فيه العلاقات الثنائية بينهما. ولذلك، يُتوقع أن يتحول أعداء إسرائيل المعروفين إلى أعداء لكينيا بصورة تلقائية، والعكس صحيح. ففي العام ٢٠١٣، جرى تحذير تل أبيب من اجتماع بين الرئيس أوهوروكينياتا ورئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس في الكويت، حيث التقى الزعيمان على هامش مؤتمر القمة العربية الأفريقية لمناقشة إمكانية إعادة افتتاح السفارة الفلسطينية في نيروبي وتأمين قطعة أرض لتشييد مبنى السفارة عليها.[٤٢] وربما كان لدى إسرائيل من الأسباب ما يدعوها إلى القلق من هذه الاجتماع، ولكن نهج الربح والخسارة الذي كانت تعتمده في نظرتها إلى تحالفها مع كينيا لم يترك مجالًا لأي من البلدين للتعاطي البنّاء مع أطراف يصنّفون على أنهم خصوم لهما.

وتتعزز نظرة الربح والخسارة هذه للتعاون الإسرائيلي–الكيني على نحو خاص في التعاملات القائمة بين الشعبين. ففي ردة فعله على اللقاء الذي جرى بين كينياتا وعباس، أطلق فرنسيس نديغوا، رئيس نادي السلام (وهو جمعية تضم في عضويتها ٣,٠٠٠ كيني درسوا في إسرائيل على مدى سني علاقة دولتهم بها) تحذيرًا يقول فيه: "يجب التطرق إليه بحذر لأنه ينطوي على دلالات سياسية."[٤٣] ويشير وجود نادي السلام وسلوكه إلى الفكرة التي تقول بأنه في الوقت الذي قد تتشكل فيه العلاقات الإسرائيلية–الكينية من خلال التعاون في الميادين الاقتصادية والأمنية بصورة رئيسية، فلا ينبغي التقليل من شأن نفوذ جماعات اللوبي التي تضرب جذورها في العلاقات "التي تشهد قدرًا أكبر من الاعتدال" بين الدولتين.

## الخلاصة

ما يزال التعاون قائمًا بين إسرائيل وحلفائها في أفريقيا على مدى العقود الستة الماضية على الرغم من التراجع الذي شهدته. وقد ارتكزت مصالح إسرائيل على الإيثار وحب الغير، وعلى الرغبة في الالتفاف على حملات المقاطعة التي تسببت في عزلتها، ومواجهة التهديدات الخارجية والداخلية، والمُثل والقيم المشتركة، وتحسين مكانتها والارتقاء بها في المنظومة الدولية. ومن جانب آخر، سعى حلفاء إسرائيل في أفريقيا إلى تعزيز الروابط الثقافية معها والاستفادة من الخبرات التكنولوجية التي تتمتع بها في ميادين التنمية والأمن.

وفي الوقت الذي ما يزال فيه التعاون الأمني يمثل جانبًا لا يغيب عن تعاطي إسرائيل مع أفريقيا، فإن إسرائيل تبذل أقصى ما في وسعها للتركيز على المساعدات التنموية من أجل ضمان استمرار علاقاتها مع هذه القارة لأمد طويل. وفي هذا الخصوص، ينبغي لإسرائيل أن تعزز المنهجية التي تعتمدها في تقديم المساعدات الفنية، بحيث توجهها نحو معونات التنمية. ومن المحتمل أن المساعدات الفنية التي قدمتها الوكالة الإسرائيلية للتنمية الدولية (ماشاف) لأفريقيا خلال العقد السادس من القرن الماضي أفضت إلى تحولات فاقت في أثرها المعونات التي تتلقاها دول القارة الأفريقية من معظم الدول المتقدمة. ويُعتبر هذا التوجه الذي يقوم على القوة الناعمة في العلاقات الثنائية بمثابة المفتاح لخطب ود الناس في أفريقيا والاستحواذ على أفئدتهم وعقولهم.

[ترجمه عن الانجليزية: ياسين السيد]

## الهوامش

1 Patrick Martin, "Israel's Ties with Kenya Go Back a Long Way," Globe and Mail, September 23, 2013, *http://www.theglobeandmail.com/news/world/israels-ties-with-kenya-go-back-a-long-way/article14490379/*.

2 Jessica Purkiss, "The Westgate Mall Attack Highlights Kenya-Israel Ties," Middle East Monitor, September 27, 2013, *https://www.middleeastmonitor.com/articles/africa/7551-the-westgate-mall-attack-highlights-kenya-israelties*.

٣ المصدر السابق.

4 Dina Kraft, "With New Investments, Israel Again is Looking to Africa," JTA, June 6, 2011, *http://www.jta.org/2011/06/06/news-opinion/israel-middleeast/with-new-investments-israel-again-is-looking-to-africa;* Alvite Singh Ningthoujam, "Military Ties Bind Israel and Kenya," Asia Times Online, October 9, 2013, *http://www.atimes.com/atimes/Middle_East/MID-03-091013.html*.

5 Ningthoujam, "Military Ties Bind Israel and Kenya."

6 Martin, "Israel's Ties with Kenya Go Back a Long Way."

7 Purkiss, "The Westgate Mall Attack Highlights Kenya-Israel Ties."

8 Kraft, "With New Investments, Israel Again is Looking to Africa."

9 Ningthoujam, "Military Ties Bind Israel and Kenya."

١٠ المصدر السابق.

11 Purkiss, "The Westgate Mall Attack Highlights Kenya-Israel Ties."

12 DelphineMatthieussent, "Kenya Long Seen as Key Israeli Ally in Troubled Region," Fox News, September 24, 2013, *http://www.foxnews.com/world/2013/09/24/kenya-long-seen-as-key-israeli-ally-in-troubled-region/*.

13 Purkiss, "The Westgate Mall Attack Highlights Kenya-Israel Ties."

١٤ المصدر السابق.

١٥ المصدر السابق.

١٦ انظر سفر الملوك الأول، الإصحاح العاشر: (١-١٣).

17 Martin, "Israel's Ties with Kenya Go Back a Long Way."

18 Purkiss, "The Westgate Mall Attack Highlights Kenya-Israel Ties."

19 Martin, "Israel's Ties with Kenya Go Back a Long Way,"

20 Purkiss, "The Westgate Mall Attack Highlights Kenya-Israel Ties."

٢١ مقابلة مع أندرو موينداً، كانون الثاني ٢٠١٠، كامبالا، أوغندا.

٢٢ مقابلة مع آنجلو إيزاما، كانون الثاني ٢٠١٠، كامبالا، أوغندا.

23 Martin, "Israel's Ties with Kenya Go Back a Long Way."

٢٤ المصدر السابق.

٢٥ "العلاقات الكينية-الإسرائيلية"، سفارة كينيا في تل أبيب. انظر الموقع الإلكتروني: *http://www.kenyaembassytlv.org.il/209618/Kenya-Israel-Relations*. (بالإنجليزية)

٢٦ المصدر السابق.

27 "1952: Kenyatta Arrested in Security Raid," BBC, On this Day, October 21, *http://news.bbc.co.uk/onthisday/hi/dates/stories/october/21/newsid_3754000/3754366.stm*.

28 Ningthoujam, "Military Ties Bind Israel and Kenya."

٢٩ "العلاقات الكينية-الإسرائيلية".

30 Kraft, "With New Investments, Israel Again is Looking to Africa."

٣١ "العلاقات الكينية-الإسرائيلية".

32 Matthieussent, "Kenya Long Seen as Key Israeli Ally in Troubled Region."

٣٣ "العلاقات الكينية-الإسرائيلية".

34 Brian Dabbs, "Israel Targets East Africa with Kenya Security Pact," World Politics Review, November 28, 2011, *http://www.worldpoliticsreview.com/articles/10765/israel-targets-east-africa-with-kenya-security-pact*.

35 Kraft, "With New Investments, Israel Again is Looking to Africa."

36 SashneeMoodley, "Seven of Australia's Ten Fastest Growing Mining Firms Have Assets in Africa—Minister," Mining Weekly, September 13, 2013, *http://www.miningweekly.com/article/african-mining-is-an-attractive-investmentfor-australia-2013-09-13*.

37 Kraft, "With New Investments, Israel Again is Looking to Africa."

38 Yossi Melman, 2013, "A History of Cooperation between Israel and Kenya,"Jerusalem Post, September 23, 2013, *http://www.jpost.com/Diplomacy-and-Politics/Analysis-Israel-and-Kenya-blood-ties-326880*.

39 Aislinn Laing, "Nairobi Assault: Kenyan Terrorist Attacks since 1980,"The Telegraph, September 21, 2013, *http://www.telegraph.co.uk/news/worldnews/africaandindianocean/kenya/10325230/Nairobi-assault-Kenyan-terrorist-attacks-since-1980.html*.

وقد زرنا هذا الموقع في يوم ٢٠ آب ٢٠١٤.

40 "Kenya Terror Strikes Target Israelis," BBC News Africa, November 28, 2002, *http://news.bbc.co.uk/2/hi/africa/2522207.stm*.

41 Yaakov Lappin, "Israel, Kenya Sgn Anti-terror, Anti-crime Pact," Jerusalem Post, November 21, 2011, *http://www.jpost.com/Diplomacy-and-Politics/Israel-Kenya-sign-anti-terror-anti-crime-pact*.

وانظر، أيضًا، "العلاقات الكينية-الإسرائيلية".

42 "Israel Seeks Clarification on Palestine Embassy," The Star, November 22, 2013, *http://www.the-star.co.ke/news/article-144593/israel-seeksclarification-palestine-embassy*.

٤٣ المصدر السابق.